

بریکست. اتفاق دون تنازلات



بهاء العوام صحافي سوري

🥒 أفرج مجلس العموم البريطاني أخبرا عن صفقة الخروج من الاتحاد الأوروبي. ليس برغبة جميع أعضائه طبعا وإنما بإرادة الأكثرية البرلمانية لحزب المحافظين. مررت الصفقة بعد أن أسقط أنصار رئيس الوزراء بوريس جونسون كل المرفقات التي أرادت المعارضة إلحاقها في الاتفاق، من أجل تقييد مفاوضات لندن المقبلة مع بروكسل حول المرحلة الانتقالية والشكل النهائي للبريكست. ما أن غادر الاتفاق قاعة مجلس

العموم إلى اللوردات، حتى خرجت الحكومة بتحذير مبطن للغرفة العليا في البرلمان تطالبها فيه بالمصادقة على صفقة الخروج بسرعة، وإعادتها لتوصيلها إلى الملكة البراييث الثانية لختمها، وتحويلها إلى قانون يوضع حيز التنفيذ نهاية شهر يناير الجاري كما هو مقرر له. ومن هناك ستبدأ دون تأخير المرحلة الانتقالية التي تمتد على أحد عشير شيهرا.

لن تعانى الحكومة كثيرا للحصول علىٰ موافقة اللوردات غير المنتخبين علىٰ اتفاق بريكست. صحيح أن معظمهم بؤيد البقاء، ولا يمتلك المحافظون في الغرفة العليا الأكثرية الكافية إذا ماً تحالف حزبا العمال والليبراليين الديمقراطيين على الأقل. لكن خيار

رفض الاتفاق ليس واردا، وكذلك خيار الماطلة من أجل تأخير موعد الخروج عن تاريخه المحدد في الحادي والثلاثين من الشهر الجاري. اتفاق الخروج يخلو من كل النقاط

التى أرادت المعارضة البريطانية تحديدها مسبقا لرسم الإطار العام لمفاوضات المرحلة الانتقالية بين لندن ويروكسل. من أبرز هذه النقاط كانت حقوق المواطنين المقيمين لدى كل من الطرفين، ومرجعيتهم القانونية والإجرائية في العمل والمال والتنقل والقضاء. ولكن حكومة المحافظين أبقت علىٰ كل شيء معلقاً من أجل التفاوض عليه مع الاتحاد الأوروبي.

لا يريد بوريس جونسون أن يقدم شيئا مجانا لبروكسل. يريد مقابلا لكل شيء ويريد أن تبقى جميع خيوط المفاوضات بيده وبيد حكومته. هكذا يبقىٰ الطرف الأقوى في المفاوضات، وهكذا يستطيع أن يمارس الخبث السياسي، إن جاز التعبير، في حواره مع الاتحاد الأوروبي. يمكن له أن يبتزهم ويساومهم ويغريهم ضمن الأطر القانونية طبعا، ولكن دون رقيب بريطاني بطالبه بتفسير كل خطوة.

رئيس الوزراء جعل محاكمته برلمانيا علىٰ ملف الخروج تنحصر في النتيجة إلى حدّ بعيد. فرقابة البرلمان على سير مفاوضات الحكومة مع الاتحاد الأوروبي خلال الفترة الانتقالية هي في الحدود الدنيا. هذا يعني مسؤوليّة مضاعفة وليس فقط حريةً في المفاوضات، لأن

النتيجة السيئة والعلاقة المشوّهة مع الاتحاد الأوروبي يمكن أن تفتحا على

وقوة جونسون في المفاوضات المقبلة. وأبرز مواطن الضعف التي يحملها رئيس وزراء بريطانيا إلى بروكسل هو خشيته من علاقة منقوصة مع الضفة الأوروبية تساعد دعاة الانفصال في أقاليم المملكة المتحدة، وخاصة في اسكتلندا، على التعبئة خلف مشاريع الاستقلال عن لندن. فيصبح جونسون كما توقع أحد ما يوماً، أخر رئيس

جونسون أبواب جهنم لاحقا في الداخل المرحلَّة الانتقالية قصيرة مقارنة

بالعمل الذي يجب أن ينجز خلالها، وكلما اتسعت أجندة المفاوضات تقلّ فرص نجاح بريكست. هكذا تبدو المسألة ظاهريا، ولكن جونسون يراهن على تمرير الأوروبيين لبعض التفاصيل الصغيرة التي تهمه، مقابل العناوين الكبيرة التي تهمهم. فهم يريدون علاقة مستقرة مع المملكة المتحدة بذات القدر الذي يريده هو، وهذا هو عنوان المفاوضات الرئيسي.

يعرف الأوروبيون جيدا نقاط ضعف حكومة للمملكة المتحدة.

بالنسبة لنقاط قوة جونسون، فريما يكون أبرزها سوق العمل البريطانية الجذابة للأوروبيين، وتلك الإمكانيات الأمنية والعسكرية الكبيرة للمملكة المتحدة، بالإضافة إلى علاقاتها الخارجية الجيدة مع دول وتكتلات عدة حول العالم. وفي هذا السياق لا شك أن إبرام بريطانيا

لاتفاقية تجارة حرة مع الولايات المتحدة وأخرى مع كندا، ستقرب المسافة كثيرا

بين لندن وبروكسل في المفاوضات. رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لين وصفت المشهد المنتظر حدوثه في الحادي والثلاثين من الشهر الجاري بقدر كبير من الواقعية. قالت أورسولا إن ذلك اليوم سيكون عاصفا في حزنه بالنسبة للبريطانيين والأوروبيين، ولكن عندما تشرق الشمس في اليوم التالى سيواصل الطرفان حياتهما كأفضل شركاء وأصدقاء. السبب كما تراه هي ويراه كثيرون، أن الروابط بين الطرفين غير قابلة للكسر.

لا ينطوي كلام أرسولا على أى مبالغة، فلا يمكن للأوروبيين والبريطانيين التخلى عن بعضهما. وإعادة صياغة العلاقة بينهما على أساس المزيد من الاستقلالية للطرفين لا يفسد للودّ قضية كما يقولون. المهمة صعبة برأي المسؤولة الأوروبية نظرا لضيق الوقت ليس أكثر. ويتعبير آخر، لا بوجد لدى أي دولة في الاتحاد الأوروبي

إن صدقت قراءة أرسولا، وكان في تمديد المرحلة الانتقالية مصلحة لبريطانيا تقيها شر الانقسام، لا أظن أن

حتى لا يلدغ العرب من الجحر التركي مرتين

تخوف من نجاح مفاوضات المرحلة

الانتقالية مع المملكة المتحدة.

رئيس الوزراء سيمارس عنجهية جوفاء في رفضه. صحيح أن لندن تصر اليوم علىٰ عدم التمديد، ولكن ذلك ربما يستند على خطط واضحة في المفاوضات، أو ربما هي ورقة ضغط في التفاوض ليس إلاً. هناكُ تحربة سابقة للبريطانيين مع جونسون في تراجعه عن رفض طلب تمديد موعد مغادرة الاتحاد الأوروبي من نهاية أكتوبر 2019 إلى نهاية بنابر 2020. كان يقول حينها أنه يفضل الموت في خندق على فعل ذلك. لم يمت

جونسون، وها هو اليوم رئيسا للحكومة

البريطانية بأكثرية لم يعرفها حزب

تركيا وروسيا ماضيتان في علاقة مشوشة



🥏 في إظهارهما للاتحاد، بدا الرئيسان، التركي رجب طيب أردوغان والروسى فلاديمير بوتين، يعرفان جيدا قواعد اللعبة ومن أين يؤكل الكتف. أظهرت زيارة الرئيس الروسى إلى إسطنبول، لافتتاح خط أنابيب ترك ستريم، ما يربط روسيا بتركيا، لكنها سلطت الضوء أيضا على المشكلات المستمرة في هذه العلاقة. فمن سوريا إلىٰ ليبيا وملف الطاقة، تواجه روسيا وتركيا تحدى كنفنة تعظيم الاستفادة من مصالحهما المشتركة، وفي

الوقت ذاته إدارة التضارب في المصالح

خط أنابيب ترك ستريم المزدوج، الذى سينقل الغاز الروسي إلى تركيا وأوروبا، هو الشق الْأُقُل إثارة للمشكلات في طبيعة العلاقات المعقدة بين البلدين، إذ أنه يحقق المصلحة للطرفين: روسيا وتركيا. ويُظهر من خلاله بوتين أن الجهود الأميركية الطاقة في أوروبا لا تحقّق مبتغاّها. وأمّنت شركة غازبروم مسارا جديدا للتصدير إلى منطقة البلقان، ومن ثم إلىٰ أوروبا في نهاية المطاف، متحاورًا

من بداية 2020، سيتم نقل الغاز إلى بلغاريا واليونان ومقدونيا الشمالية عبر تركيا. وبات خط الأنابيب الواصل إلىٰ البلقان من روسيا عبر أوكرانيا ورومانيا معطّلا، بعد أن ظل في الخدمة منذ ثمانينات القرن الماضى. إذن، أصبحت تركيا أخيرا نقطة عبور، وليست فقط مستهلكا كبيرا للغاز.

ستريم هذا الأسبوع، كان أردوغان وبوتين محاطين برئيسي بلغاريا وصربيا، بويكو بوريسوف وألكسندر فوتشيتش. وبات الأمر الراسخ في عقول صنّاع السياسات في أنقرة، أن وضع تركيا الجديد سيعطيها بالضرورة بدا علي . الاتحاد الأوروبي وروسيا. وسيتبين مدى صحة

> في نهاية عام 2022، سينتهي أجل الجزء الأكبر من العقود

هذا من عدمه

في السنوات

القادمة.

التي تغطّي ترك ستريم، وستخضع للتفاوض من جديد. وستكون الشروط التى ستحصل عليها شركة بوتاش الحكومية التركية، والشركات الخاصة التى لها صلة بخط الأنابيب، من شركة غازبروم مؤشرا على ميزان القوة.

وتستورد تركيا كميات أقل من الغاز الروسى، والسبب الأول في هذا هو أن المصاعب الاقتصادية أدت إلى تقلص الطلب. أما السبب الثاني فهو استيراد الغاز الطبيعي المسال الأرخص ثمنا من موردين مثل الجزائر وقطر، بل وحتى الولايات المتحدة.

لكن ما يدور في عقلي أردوغان وبوتين أكبر من مسالة النفط والغان في ظل هذا الوضع المتوتر في منطقة الشرق الأوسط. وروسيا وتركيا متحدتان من جهة أن كل منهما ليست لديه مصلحة واضحة في المواجهة بين إيران والولايات المتحدة بعد مقتل الجنرال الإيراني قاسم سليماني بأمر من البيت الأبيض. كما أن تقليم أظافر إيران ليس بالضرورة خبرا سيئا، بالنظر إلى أن الجمهورية الإسلامية أفسدت في كثير من الأحيان الجهود اتفاقات في سوريا عبر عملية أستانة. وفي النهايَّة، فإن طهران صديق وعدو فى وقت واحد لكل من أنقرة وموسكو، لكن نشوب صراع في المنطقة بفعل قرارات ترامب الهوجاء ليس في

مصلحة أي طرف. وفى مؤتمرهما الصحافي المشترك، لم يتطرق بوتين وأردوغان بأي شكل من الأشكال إلى موضوع مدينة إدلب السورية التي تسيطر عليها المعارضة، والتى مازالت نقطة حساسة بالنسبة لتركياً. وتنفذ الحكومة السورية هجوما جديدا بمساعدة روسيا منذ منتصف

ديسمبر. وقد أفرغ هذا وفي حفل افتتاح خط أنابيب ترك الهجوم اتفاقات وقف أعمال القتال التي توصّل إليها بوتين وأردوغان في أكتوبر الماضي من محتواها. توجه بوتين إلى إسطنبول بعد زيارة مفاجئة إلى دمشىق، ھي الأولئ له

على الإطلاق إلى العاصمة السورية. وما من شك في أن أردوغان جاء ذكره فى المباحثات التى أجراها بوتين مع الرئيس السوري بشار الأسد. لكننا وصلنا إلى نقطة باتت فيها هناك تُتبحتان فقط لهما جدوى في إدلب: إما أن تسيطر الحكومة السورية على المدينة، وهو ما سيؤدي إلى نزوح المزيد من اللاجئين إلى تركيا، أو أن تتولى

تركيا السيطرة المباشرة على أجزاء من المدينة، على أن يسيطر الأسد على الأجزاء المتبقية. ومن المرجح أن يكون لبوتين دور كبير في اتخاذ قرار بهذا الشان، وإن كان لا يملك القول الفصل في الأمر كله.

تتباحث روسيا وتركيا أيضا بشأن ليبيا، حيث يدعم كل منهما طرفا معاديا للطرف الذي يدعمه الآخر. والأولوية الملحّة في الوقت الحالي هي لتجنب نشوب صراع مباشر، خاصة بسبب دعم الجيش التركى ووكلاء أنقرة حكومة الوفاق الوطني في طرابلس. ودعا بوتين وأردوغان من إسطنبول إلى وقف إطلاق النار يحلول منتصف ليل 12 يناير، لكن من المشكوك فيه أن يلتزم تركبا كلمة مسموعة عند حكومة الوفاق الوطني، لكن روسيا ليست في الموقف الذي يسمح لها بكبح جماح تقدم قائد الجيش المشير خليفة حفتر، الذي حقق نصرا إثر السيطرة على مدينة سرت الساحلية. وعلىٰ عكس سوريا، ليس لدى روسيا بالفعل جنود على الأرض.

أثبت بوتين أن لديه مرونة وانفتاح علىٰ التعامل مع أردوغان، لكنه لا يملك نفوذا مطلقا في سوريا، ونفوذه في ليبيا أقل بكثير. وتقول المحللة الروسية ماريانا بلنكايا إن "الجانب السلبي في النفوذ الروسي في الشرق الأوسط هو أن هذا النفوذ صار أسيرا لسمعة رجلها القوي. من المتوقع الآن أن تتدخل روسيا عمليا في جميع

الصراعات الإقليمية، بينما يتوقع زعماء محليون أن تكرر سياستها تحاه سوريا في ليبيا". ونظرا لعدم تناسب التوقعات مع ما هو ممكن، فإن أقصىيٰ ما تستطيع روسيا وتركيا فعله هو الاستمرار فی هذ*ه* العلاقة المشوّشية، ومن

ثم فإن بوتين

مستمران في

هذه المسرحية.

وأردوغان

الجانبين حتى اليوم. " عادت تركيا إلى المشرق. وسواء كان

دبلوماسية، فإن النفور الأوروبي هو طارق القيزاني ما عزز فعليا التراجع عن الإصلاحات صحافي تونسي في تركيا بالتزامن مع صعود لحزب

> العلماني الله الزعيم العلماني مصطفئ كمال أتاتورك عند سقوط الخلافة العثمانية هو استبدال الحروف العربية بحروف لاتبنية للغة المحلية، واستتبع ذلك ما يشبه ثورة ثقافية في بلاد الأناضول في مسعىٰ حثيث للحاق بركب الدول الأوروبية.

كانت العلاقات بين تركيا والعرب والمشرق، في الأثناء، بالكاد تذكر طوال عقود من إعادة تأهيل تركيا الأوروبية برغم كل المنزلقات التي عرفها هذا البلد عبر الانقلابات العسكرية وتغوّل المؤسسات العلمانية حدّ الاستبداد، وبالرغم أيضا من حالة الفصام التي ظلت ملازمة لأجيال من الأتراك بسبب غياب التوافق الجمعى حول الهوية العثمانية في ظل جمهورية حديثة تريد أن تصنع لنفسها هوية جديدة تقوم على القومية التركية في مجالها الجغرافي الجديد والضيّق.

بخلاف حماية الموانئ في حوض المتوسط وتشييد الحصون الدفاعية في كبرى المدن لم يقترن دخول العثمانيين للبلاد العربية بنهضة علمية أو ثقافية مشهودة

وظلّت المقولة راسخة منذ بدايات التأسيس للدولة التركية الحديثة، بأن "لا صديق حميما للتركي سوى التركي"، ردا على ما كان يشاع بين المؤرخين الأتراك من خيانة العرب للعثمانيين في الحرب العالمية الأولىٰ التي أدت إلىٰ تفكك الإمبراطورية المهترئة، وهو ما كان يبرر القطيعة المتعمدة مع العالم العربي المَاذَّن التركية حتى عام 1950.

لكن التفات تركيا إلىٰ المشرق كان قد تزامن مع نهاية المطاف لسنوات من المفاوضات العقيمة ومطاردة الأوهام مع الاتحاد الأوروبى طلبا لعضوية تفتقد في تقدير المحور المناوئ لأنقرة، فيينا وبراين وبودابست، للمعاسر الموضوعية في مجال الحريات والقوانين والهوية الثّقافية، فضلا عما خلفه الاحتلال العثماني لجزء من القارة العجوز من شروخ مستمرة في العلاقات بين

ذلك اضطرارا أم في سياق مراجعات

العدالة والتنمية الإسلامي وبداية مخطط التضييق على المؤسسات العلمانية والحيش وإعادة بناء السلطة ومراكز النفوذ حول محور الرئاسة، عبر تعديلات دستورية متلاحقة للنظام السياسي. لكن هل كانت حصيلة هذه العودة

منذ نحو عقدين، أيا كان الحلف الذي اختارته أنقرة، يعتد بها في مجال التعاون المثمر والمجدي لشبعوب المنطقة. علىٰ عكس السياح العرب والتجار

الذين يعرفون تركيا وأسواقها وقصورها شبرا شبرا، يحاول التركي العثماني إعادة استكشاف فنائه الخلفي بطموحات مختلفة ومشروعة في نظره بحكم التاريخ والدين، ليس فقط عبر صفقات السلاح واتفاقات الدفاع والتجارة غير المتوازنة ولكن أيضا عبر سياسة رابح

في اتحاه و احد.

تركيا لم تكن تقيم وزنا للسيادة وحدود دول الجوار أثناء تلويحها الدائم بتحربك قواتها لتعقب الفصائل الكردبة داخل سوريا والعراق ولم تتردد في مرتزقة العالم لعبور الحدود إلى الداخل السوري وحتى عقد صفقات لاستنزاف الموارد السورية في المناطق المحتلة. والخطر اليوم يهدد أمن كامل منطقة المتوسط وشمال أفريقيا بشئان اتفاق ترسيم الحدود البحرية مع طرابلس كما هو الخطر العسكري الداهم عبر الأراضي الليبية أين يتم التحضير لصناعة

مستنقع دولي. وقد يكون حزب العدالة والتنمية والرئيس رجب طيب أردوغان قد نجحا حتى الآن في صناعة حاضنة لتركيا الأردوغانية َّفي أنحاء ممتدة من المنطقة العربية ومن بينها ليبيا، وفرتها لهم الأنظمة السياسية المرتبطة بتنظيم الاخوان المسلمين، لكن هذا النجاح يحمل في طياته بذور الفتنة والانقسام.

و الخشية من تلك السياسات لها ما يبررها في ذاكرة العرب، فنخلاف حمانة الموانئ في حوض المتوسط وتشييد الحصون الدفاعية في كبرى المدن لم يقترن دخول العثمانيين للبلاد العربية بنهضة علمية أو ثقافية مشهودة، وهناك مراجعات وخلافات مستمرة بين المؤرخين اليوم بشئان دوافع هذا الاحتلال وتوصيفه، بين من يصنفه ضمن دفع أذى المماليك في الشرق وإغارات القراصنة والأسطول الإسباني غرب المتوسط عن المناطق الإسلامية، وبين من يحصر هذا التوسع حول هدف إلحاق المستعمرات

ولطالمًا كان تاريّخ الحكم في قصور الباب العالى تقوم على الدسائس ونقض العهود وقطع الرقاب حتى داخل العائلة

العربية الحديدة وإخضاعها بالقوة

لسلطة الباب العالى.

الواحدة. وليس معنىٰ هذا نسفا لتاريخ مشترك بين العرب والأتراك يمتد إلى أكثر من 500 عام، وإنما ينظر إلى التاريخ للاتعاظ والتصحيح وحتى لا يلدغ العرب من جحر واحد مرتين.

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977 أسسها أحمد الصالحين الهونى

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام محمد أحمد الهوني

> مدراء التحرير مختار الدبابي كرم نعمة حذام خريف منى المحروقي

> > مدير النشر على قاسم

المدير الفنى سعيدة اليعقوبي

تصدر عن Al-Arab Publishing House المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant 177 - 179 Hammersmith Road London, W6 8BS, UK Tel: (+44) 20 7602 3999

> للإعلان **Advertising Department** Tel: +44 20 8742 9262 ads@alarab.co.uk

Fax: (+44) 20 7602 8778

www.alarab.co.uk editor@alarab.co.uk